

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الرقائق والأخلاق والآداب



فضل الرضا بالله تعالى (1) (خطبة)

إبراهيم الدميحي

[مقالات متعلقة](#)

تاريخ الإضافة: 16/7/2022 ميلادي - 16/12/1443 هجري

الزيارات: 6407



فضل الرضا بالله تعالى (1)

الحمد لله الذي خلق فسوًى وقدر فهدى، وأسعد وأشقى، وأضل بحكمته وهدى، ومنع وأعطى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفى، والرسول المجتبي، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واستمسكوا بدينه، واعلموا أن السعادة في الرضا به.

فقلتُ للفكر لَمَّا صار مضطرباً وخانني الصبر والتفكير والجلدُ

دَعَهَا سماوية تجري على قدرٍ لا تغترُّ عنها بأمرٍ منك تنفيسدُ

فحقني بحفي اللطف خالقنا نعم الوكيل ونعم العون والمددُ

عباد الرحمن، إن الرضا هو البحر الهائل الذي ينغمر فيه كل ألم، وتضمحل فيه كل مشقة، وتذوب فيه كل كربة؛ ذلك أن الرضا التام بالله تعالى يثمر سربال الصبر وتلج اليقين وبرد الحمد، فمهما هبَّت على القلب رياح الألم وادلهمت على النفس كبار الخطوب، وتصاكت على الصدر ألوية الهموم والغموم، فإن الرضا بالله تعالى رباً مديراً حافظاً ناصرًا رازقاً، والرضا به إلهاً معبوداً، يُصير تلك الأمور الصاخبة المزجة لأحوال أخرى طيبة ساكنة وادعة مريحة، { وَأَقْرَضَ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [غافر: 44].

فالراضي بربه يعلم علم يقين أنه بيد من هو أرحم به من والديه، ومن نفسه التي بين جنبيه، فحينها لا يأتيه شغل القلب وكدره وهمه ويلاؤه إلا حين يغفل الفؤاد لحظات عن هذه المعاني الهائلة الجميلة، فهو حال لطيف تستلذه نفوس العلماء بربهم وإن قلَّ علمهم بأحكام شرعه ودلائله، ومعنى جميل تميل النفوس بأعماقها إليه، وتلقي القلوب بأزميتها عليه، سلكتنا الله جميعاً في سلك من رضي عنهم ورضوا عنه.

والرضا بالله تعالى سهل يسيرٌ بحمد الله جلَّ وعزَّ، فهو يقين وثبات وسكينة وطمأنينة، وقد يظنُّ بعض العباد مشقته في ابتداء الأمر، فما هو إلا أن يسيروا في أفيانه قليلاً حتى تتكشف لهم سهولة الجادة وجمال الطريق، ثم لا تلبث حقيقته الناصحة الرضية السهلة أن تلوح في بصائرهم مشرقة ناصعة بيّنة، ولقد أحسن أيما إحسان من سمى الرضا: حسن الخلق مع الله.

إِنَّ الرضا بالله تعالى يشدُّ ما وَهَى من أعمدة بنيان الإيمان، ويبنى ما انهدأ من جدران الثقة، ويحرس أرجاء بيضة اليقين، ويا رب هل إلا عليك المعول.

فالقلب يبحر في بحر الرضا حاملاً معه علمه التام ويقينه الراسخ بأن اختيار الله له خيرٌ له من اختياره لنفسه، وحينها يباشر الإيمان شغاف قلبه ويملؤها سعادةً وسكينةً وطمأنينةً وراحةً، مصداقاً لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: ((ذَاكَ طَعْمُ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)) [1].

وتدبّر كيف وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالرضا لا بغيره؛ لأنه غاية وصول المؤمنين، فقال جل وعلا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 5]، ومن أرضى الله أرضاه الله، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207]، وتدبّر شرط الآية الكريمة إخلاص العمل لمرضاه الله لا غيره، فالعبد يبتغي وجه الله ورضوانه مغرضاً عن كل ما يشوش نيته ويكدر إخلاصه، حريصاً كل الحرص على عبادة الرضا بالله تعالى ابتغاء رضوانه، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265]، فمرضاه الله غاية السابقين، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]، قال التابعي الصالح أبو قلابة رحمه الله تعالى: "إذا أحدث الله لك علماً، فأحدث لله عبادة، ولا يكن همك أن تحدث به الناس" [2]، ونعمة العلم بالله تعالى والرضا به مستجقتان على العبد أعلى مراتب الشكر لربه تعالى.

ألا وإن الله تعالى قد امتنَّ علينا بآتمِّ نعمة وأعظم مئةٍ وأكبر كرامة؛ وهي الإسلام العظيم، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، فيا لسعادة وفوز وكرامة أهل الإسلام الذين اعتنقوا ورضوا ما رضى به ربهم لهم سُلماً لمرضاته تبارك وتعالى!

عباد الرحمن، من تطلّب مرضاه ربه فهو المهدي حقاً والفائز صدقاً، قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 16].

وكيف لا يكون الرضوان هو غاية الغايات ومنتهى المطالب بعد رؤية وجهه تبارك وتعالى في الجنة، فمن رضي الله عنه، فلا تسل عن سعاده وحبوره وسروره ونعيمه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لَنَبِّكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، يَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، يَقُولُ: أَلَا أَعْطَيْتُكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَآيَ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا اسْخَطَ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)) [3]، قد ابيضت وجوههم لما رأوا محبوبهم، وتضرعت لما تطرأت.

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَاتِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ عَنِ الْحَبْرِ

ويا خيبة من لم يك عن ربه راضياً ولا له مرضياً! فتعجل الحطام الخسيس وباع الباقي النفيس: ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 62]، فأين تعزب عقولهم عن إدراك وتيقن واعتقاد أن الله تعالى هو الأحق أن يرضوه، ومرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن الجوزي رحمه الله: "إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾، وقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 117] [4]، وقال البغوي رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ ولم يقل: (يرضوهما)؛ لأن رضا الرسول داخل في رضا الله تعالى" [5]، وهذا من دقائق التوحيد؛ لأن مرضاه الرسول صلى الله عليه وسلم فتبع لها، وهي مقصودة كذلك، فما لا يرضاه الرسول لا يكون مرضياً لله تعالى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عبدٌ لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب، بل يُطاع

[2] فتح المغيـث (3 / 294).

[3] البخاري 8 / 142 (6549)، ومسلم 8 / 144 (2829).

[4] زاد المسير (1 / 70).

[5] تفسير البغوي (1 / 89).

حقوق النشر محفوظة © 1445 هـ / 2023 م لموقع [الألوكة](http://www.alukah.net)
آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 10/5/1445 هـ - الساعة: 11:8